

مقال للرئيس محمد أنور السادات

في صحيفة نيويورك تايمز

في ٢١ مارس ١٩٧٨

منذ أن توليت منصبى فى خريف عام ١٩٧٠ بل حتى قبل ذلك بوقت طويل آمنت دائما بأن التحدى الحقيقى الذى يواجهنا هو إقامة السلام ، وليست هناك قضية أخرى أكثر جدارة بوقتنا وجهودنا وتضحياتنا وحينما كنت افكر فى المستقبل وذلك هو واجب اى قائد او حاكم فان رؤيتى كانت تتركز على حالة من السلام الذى ينبغى أن يسمح لجميع شعوب الشرق الاوسط بأن تكرس طاقتها ومواردها لصنع عالم أفضل للاجيال القادمة

إننى لم اكن غير واع للصعوبات التى تنتظرنى وعلى اى حال فإن هذا لم يسبب لى اى تعويق وشعرت أن مسئوليتى - إن لم يكن قدرى - أن اكون رائدا على طول هذا الطريق ضد كل الاحتمالات ومن ثم فقد قدمت مبادرتى الأولى للسلام بعد أسابيع قليلة من تولى مهامى وبالتحديد فى ٤ فبراير ١٩٧١ وقد دعوت وقتها الى انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية لإعادة فتح قناة السويس فى اطار تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبعد ذلك بأربعة أيام لم يكن مجال للشك عن استعدادها الدخول مع اسرائيل فى اتفاق سلام ، ولسوء الحظ لم يأت اى دور ايجابى من الجانب الاخر .

إنه كان من الواضح تماما أن هناك حاجزا عقليا معيننا كان يعوق أى تقدم ذى مغزى فى هذا الاتجاه ، وكانت الحواجز النفسية تشوش رؤية الملايين عبر الحدود وادت الى العجز الكامل عن التفكير فى السلام فما بالكم بالعمل نحو تحقيقه ، وهكذا فإن جانباً كبيراً من جهدى كان مكرساً لتفكيك هذه الحواجز ، فقد كان كل طرف ينظر الى الطرف الآخر على أنه الشرير الذى ليس مخطئاً فقط وانما مؤذ أيضاً وسئ النية ، وفى

مثل هذه الظروف كان العداء والكراهية هما الحاكمان ولكنى ظللت أؤكد على أنه ليس هناك بديل للسلام وأنا لا أتخيل مهمتى على أنها حملة صليبية يقوم بها رجل واحد ، بل إننى أردت أن انشر وأن اعمق الوعي الجماعى بضرورة العمل من أجل السلام فى مواجهة جميع العقبات وأن التحليل الموضوعى لسياستى منذ بدء مواجهة اكتوبر عام ١٩٧٣ مع حساب كل خطوة محسوبة لتقريب الجانبين اكثر الى طريق السلام الاقتراح الذى قدمته يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ لعقد مؤتمر سلام دخول مصر فى اتفاقيات للفصل بين القوات فى يناير ١٩٧٤ وفى سبتمبر ١٩٧٥ بالاضافة الى تشجيعى لعقد مؤتمر جنيف للسلام كل تلك الخطوات كانت محسوبة بهدف خلق مناخ جديد من الثقة بين الأطراف إننى لست غير واقعى على الإطلاق حتى بالرغم من أننى متفائل بطبيعتى ، إننى اعرف أن عملا فرديا واحدا أو حتى مجموعة من الاعمال لا تستطيع أن تدفن الماضى بسهولة إلا أننى اعتقد بالفعل أن الاهداف العظيمة تتحقق من خلال الصبر والمثابرة .. وكل خطوة تساعد فى هذا السبيل .. ولقد بلغت هذه العملية ذروتها فى شهر نوفمبر ١٩٧٧ عندما قمت بمهمتى المقدسة فى القدس وعندما استحوذت هذه المهمة على خيال الملايين فى جميع أنحاء العالم فإن ايمانى بالسلام قد ازداد قوة ، إن فجرا جديدا قد انبلج حاملا معه الأمل الى الملايين الذين كانوا قد استسلموا لليأس فيما مضى .. لقد ارتفعت الآمال عالية جدا واصبح من الحتمى أن نواجه التحدى الجديد بالرؤية المتبصرة والشجاعة ومنذ ذلك الحين فإن المسألة تجاوزت الأفراد والأفكار الجامدة وبهذه الروح بدأنا مفاوضات السلام فى القاهرة واجتمعت مع مناحم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلى فى الاسماعيلية ، يوم الكريسماس ، وقمت بحثه على استبعاد جميع مفاهيم الماضى البالية والتحول للنظر الى المستقبل لقد بنت اسرائيل لعشرات السنين قضيتها حول احتياجها الفريد والخاص الى الأمن ولقد اعربت عن استعدادنا لتلبية هذا الاحتياج الاسرائيلى من خلال ضمانات مختلفة لقد اعتقدت أننى بعد أن نزعفت فتيل هذه

القنبلة النفسية فى عقول الاسرائيليين فإنه سيكون من الأسهل التقدم على طول الطريق المؤدى الى السلام .

ومع ذلك فإننى يجب أن اقول بالصراحة كلها إن استجابة اسرائيل كانت مخيبة للأمال ان مناحم بيجين رئيس الوزراء بينما يقر بالتزام اسرائيل بالانسحاب الى الحدود الدولية لمصر فقد اتخذ موقفا متصلبا جدا تجاه مشكلتين اساسيتين هما بالتحديد القضية الفلسطينية والمستوطنات الاسرائيلية غير الشرعية . لقد حاولت أن اقنع مستر بيجين بأن يعتدل في موقفه فى ضوء حقيقة أنه لا يمكن التوصل الى حل بدون حل المشكلة الفلسطينية . وليس هناك بديل عن التسليم للشعب الفلسطينى بحقه فى تقرير المصير ، إنهم ينبغى أن يساعدوا لكى يعيشوا كجماعة سياسية حرة من التبعية والقهر والتوتر ان الطريق الوحيد لتحقيق ذلك هو أن ندعهم سادة مصيرهم فى وطنهم إن صيغة بيجين الخاصة بالحكم الذاتى التى هى نوع من المغالطة تقوم على استمرار الاحتلال والاحتلال شكل من اشكال العنف الذى يولد العنف المضاد فى شكل أو آخر إن الاحداث المحزنة التى وقعت مؤخرا قد اثبتت دون ظل من الشك أن مزيدا من الإهمال لحقوق الشعب الفلسطينى سيكون دعوة مفتوحة للفوضى تحل بالمنطقة ولقد اكدت مرارا أنه حتى لو تمكنت اسرائيل من تسوية نزاعها مع جميع الدول العربية المجاورة لها فإن المسألة الفلسطينية يمكنها أن تهدم التسوية بأسرها ذلك أنها تمثل لب الصراع وجوهره إن مناحم بيجن يقيم حجته على أن إقامة أية دولة فلسطينية يعنى تدمير اسرائيل وهذه مغالطة ، إن الكيان الفلسطينى يملك السماح بالظهور ولا بد أن يشعر معظم الفلسطينيين بضرورة القيام بعمل لتحرير أراضيهم ، ولن يكون هناك باعث لدى معظم الفلسطينيين للقيام بأى عمل من أعمال العنف لان أعمال العنف الاسرائيلى لا تحرك سوى المتطرفين من بين الفلسطينيين

لقد أعلن مناحم بيجين عدة لقاءات فى الأسابيع القليلة الماضية وهو يقول لنا بأن حق الفلسطينيين فى تقرير المصير لا يقبل التفاوض ، وكذلك الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة لا يقبل التفاوض فهل يساعد هذا على إثارة الاعتدال بين الفلسطينيين . ما الذى يمكن أن يقوله المعتدلون الفلسطينيون فى تبرير اعتدالهم حتى القرار ٢٤٢ يقال إنه لا ينطبق على الضفة الغربية؟؟ ما الذى ينطبق عليها إذن؟؟ ما تمليه الحكومة الاسرائيلية؟؟ إننى أوّمن بقوة بأن العمل الاسرائيلى المتهور والسئ التقدير ضد لبنان كان وحشيا ، إنه يمثل عقبة جديدة فى طريق السلام ، ان المستثمرين من الناس يستتكرون أى شكل من اشكال الإرهاب وشعورهم بالنفور قوى إزاء أعمال العنف التى تعدها دولة ضد المدنيين فى دولة أخرى لذريعة أو لأخرى إن ذلك النوع من الأعمال يوقظ مشاعر الكراهية وعدم الثقة ولقد كانت وجهة نظرى دائما أن للولايات المتحدة دورا حيويا فى عملية السلام وقد أكدت زيارتى الأخيرة لواشنطن ذلك الاعتقاد فى ذهنى إنه لا توجد أى قوة أخرى مهياة لأن تلعب مثل هذا الدور، ولقد كان الرئيس كارتر متفهما تماما وكان إدراكه للقضايا التى يدور حولها الجدل مثيرا للإعجاب ، وكان يبدو أنه مصمم على ان يظل مهما ونشيطا وليس لدى أى سبب فى أن انتشكك فى هذا ، وفى نهاية مباحثاتنا شعرت بالرضا ربما كنت آمل أن احصل على اكثر مما حصلت ومع ذلك فإن السلوك العام الذى اتخذته القيادة الأمريكية كان مبشرا بالخير

إنه من ناحية اخرى كنت اشعر بالامتنان البالغ بسبب موقف الشعب الامريكى ولقد وجدت تفهما عظيما للمشكلة ولما هو مطلوب لحلها إن الغالبية الهائلة من الامريكيين تؤيد السلام العادل والدائم ويعارضون ضم الأراضى كما يتعاطفون مع مطالب الشعب الفلسطينى ولايستثنى اليهود الامريكىون من هذا الموقف ويعتبر هذا العامل هاما للغاية بالنسبة لمستقبل العلاقات بين العرب واليهود إننى اعتزم مواصلة مسيرتى فى الطريق

المؤدى الى السلام خلال الاسابيع القادمة ولا ينبغي لأحداث الايام القليلة الماضية أن تمنعنا من ذلك على العكس فإنها تعبر عن الحاجة الى إحراز تقدم اكثر مما تحقق من قبل إننى اعتقد أن الفجوة بين مواقف الأطراف يمكن سدها اذا ما تطلعنا الى المستقبل من أن نكون سجناء للماضى.

www.anwarsadat.org